قضية المعرَّب في القرآن الكريم

كساوي عبدالقادر

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

ملخص:

احتلت قضية المعرَّب في الدراسات اللغوية العربية جزءا كبيرا من اهتمام العلماء والباحثين قديما وحديثا، وهي تمثل في الدراسات القرآنية بالذات مسألة بالغة الأهمية دار حولها الجدل، ما بين رافض رفضا تاما لورود لفظ غير عربي في القرآن الكريم وقابل لورود المعرَّب ذي الأصل غير العربي ولكنه عرّب حتى صار جزءا منلغة العرب بحكم اتصال اللغات وتطورها ونموها المستند بعضه إلى بعض.

الكلمات المفتاحية: المعرب . التعريب . القرآن الكريم

1- تعريف التعريب:

التعريب: مصدر عرَّب بتشديد الراء، ويطلق على عدة معان، منها تكلم أحد عن قوم واحتجاجه لهم، ومنها معنى الإبانة والتهذيب، والإكثار من شرب العَرَب، والتشذيب، وغير ذلك من معانيه الكثيرة.[i]

والتعريب والإعراب في اللغة معناها واحد وهو الإبانة والإفصاح. يقال أعرب عن لسانه وعرَّب أبان وأفصح. وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها. تقول عربته العرب وأعربته أيضا، والمعرَّب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها.[ii]

وهو معنى أورده الجوهري (ت393هـ) في معجمه الصحاح. وخرج به عن القاعدة التي سارت عليها العرب في التعريب، لأنها قد عربت كلمات أعجمية على غير مِنْهاجِها، وهي طريقة أدخلت بها على لغتها كلمات أعجمية كثيرة قلما يوجد من العلماء من ينكرها.[iii]

وقد أورد سيبويه (ت 180هـ) في كتابه ما يشير إلى التعريب بقوله: "اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه...وربما تركوا الاسم على حاله (أي لم يغيروا فيه) إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن...".[iv]

أما التعريب بمعناه الاصطلاحي فهو تحويل طبيعي أو تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس مطرد، وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعد الآن. ويعنى بذلك أن اللغة العربية بمجموعها معربة ومحولة عن لغة أعجمية كما يتحول إليها اليوم كثير من الكلمات الأعجمية، وهذا

التحويل حصل لأول تكوّن اللغة تدريجيا، لكنه وصل إلينا بجملته فحسبناه حصل دفعة واحدة وأن الله أوجده على لسان رجل.

والمعرب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها، وقال السيد في حواشيه "هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى ثم استعملته العرب بناءً على ذلك الوضع".[v]

فالتعريب نقل الكلمة من العجمية إلى العربية – والمعرَّبُ هي الكلمة التي نقلت من العجمية إلى العربية سواء وقع فيها تغيير أم لا – غير أنه لا يتأتى التعريب غالبا إلاّ بعد تغييرٍ في الكلمة.[vi]

فقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاورتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان. وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير.[vii]

وقد استعمل في معناه الاصطلاحي لثلاثة معان تنطلق من مفهومه اللغوي الذي تطور خلال رحلته الطويلة عبر القرون. وكان محددا باستعمال العرب للفظ الأجنبي بتغيير أو بدونه على ما مر. ثم تطور واستعمل بمعنى الترجمة، وهو نقل فكرة من لغة إلى أخرى، فأصبح اللفظان مترادفين يستعمل الواحد في مكان الآخر. وقد ذكر الدكتور "مُحَمَّد حسن عبد العزيز" أن "الصفدي" (ت 1636م) هو أول من استعمل مصطلح التعريب بمعنى الترجمة مستدلا بقول الصفدي الوارد في كتاب (الكشكول) "للعاملي": "وللترجمة في النقل طريقان: أحدهما: طريق "يوحنا بن الناعمة"... والطريق الثاني في التعريب طريق "حنين بن إسحاق" و"الجوهري" وغيرهما، وهو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها في اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها...".

واسْتُعْمِلَ أيضا بهذا المعنى في عهد "مُحَمَّد علي" (ت 1849م) وذلك عندما كان الكُتَابُ يأتون بالعبارات الآتية: "صدر الأمر بتعريبه، أو بذلت الهمة في تعريبه، أو كان تعريبه غير متقن... أو غيرها، مما يتردد في مفتتح الكتب المترجمة أو مختتمه"، لكن الاستعمالين المذكورين يخصان نقل المعنى من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ولا العكس، ولا يقال تعريبا إذا نقل المعنى من نص عربي إلى نص أجنبي، فالترجمة في هذا المجال أعم من التعريب. ثم تطور مفهوم المصطلح في هذا العهد عندما قصد به استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاما وكتابة ودراسة وتدريسا وترجمة وتأليفا....[viii]

أما المحدثون فقد تناولوا المعرَّب بتعريفات متباينة، منبثقة من تباين تعريفات الأقدمين له على ما مر، يقول الأمير "مصطفى الشهابي" (ت1968م): "المعرب في لغتنا كثير ويسمى الدخيل". والشيخ "عبد القادر المغربي (ت1956م) متمسك بتعريف السيوطي للمُعرَّب" وعند الدكتور "عبد الواحد وافي" المعرب نوع من الدخيل،

لأن الدخيل عنده نوعان: نوع يسمى معربا، وهو ما عربه فصحاء العرب الذين حدد عصرهم في نهاية القرن الثاني الهجري في الأمصار، ومنتصف القرن الرابع في البادية، والنوع الثاني: المولد الأعجمي، وهو ما عرب ما بعد عصر الاحتجاج.

وقد حدد "أحمد مطلوب" مدلول كل من المعرب والدخيل بقوله: "ونرى أن يطلق المعرَّب على كل كلمة أجنبية دخلت العربية قديما أو تدخل اليوم أو غدا، على أن تكون خاضعة لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها وجرسها. ويدخل فيه قسم كبير مما عرَّبه القدماء المعاصرون... وأن يطلق الدخيل على اللفظة الأجنبية التي لم تخضع لمقاييس العربية وبنائها وجرسها سواء أكانت قديمة أم حديثة".[ix]

هذا وتشير الدراسات الحديثة لقضايا التعريب إلى العديد والمتنوع والمتميز من المفاهيم المتداولة فكريا بشأن هذه الظاهرة الهامة، وذلك وفقا للظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها كل بلد عربي، وتبعا للاجتهادات وللكتابات المنشورة داخل كل بلد يعتبر التعريب من أهم شواغل سياساته، وهذا هو "المفهوم القطري للتعريب"، حيث يكون للعملية التعريبية خصوصيات مختلفة محليا، من قطر عربي إلى آخر.[x]

1- أهمية التعريب:

تعود أهمية التعريب إلى افتقار اللغة العربية إلى تسميات لمسميات حديثة تخترع في شعوب متقدمة، وترد في الدول ورودا كثيرا يعجز المترجمون عن ترجمتها فورا، فالتعريب وسيلة من وسائل إثراء اللغة العربية وتغذيتها بالمصطلحات التي يحتاج إليها الباحثون والكُتّابُ، وهو وسيلة لجعل اللغة العربية تواكب التطور والتقدم.

إن التعريب حركة يجب أن تصاحب اللغة العربية دائما أثناء تطورها، ولا ينبغي لأبناء اللغة العربية تركها إذا أريد لها أن تكون لغة حية تتطور مع تطور الحياة، وهو – بمعناه الاقتراض- حركة لا تخلو منها أية لغة من اللغات على وجه الأرض، لأنها خاضعة لما يعرف بقانون التأثير والتأثر في اللغات، وهو قانون طبيعي اجتماعي تفرضه علاقات البشر الاجتماعية والسياسية والتجارية.[xi]

ووجه البلاغة في إيثارها أنها تؤدى معانيها الدقيقة في عبارة موجزة، فإن العرب لم تضع لفظا تدل به على معنى ما عربته، فلم تعد ثمة وسيلة للتعبير عنه سوى اختيار اللفظ المعرب، أو الاتيان بأكثر من كلمة لأداء معناه فإذا أريد مثلا الاستغناء عن كلمة (استبرق) احتيج إلى مقابل مركب من كلمتين أو أكثر فقيل (الديباج الثخين)، ومادامت الكلمة المعربة خفيفة على اللسان فهي أولى من الكلمتين وهي متعينة حين لم يضع العرب بدلا منها.[xii]

فليس التعريب ما يشوه اللغة أو يحط من قدرها ومنزلتها بين اللغات الأخرى، بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك وهو ما نلمسه في اللغة التركية التي لا تتوانى في ضم الكلمات الكثيرة إليها من اللغات الأخرى، وبسبب ذلك أصبحت تضارع أشهر اللغات الإفرنجية في غزارة مادتها، وعذوبة تراكيبها، واتساع دائرة التخاطب بها، وقد

قال "كمال بك" كاتب الترك الشهير: "إن مثل لغتنا وسائر اللغات كرجل دخل حديقة فجعل يقطف من أزهارها ما يروقه، ويحلو في عينيه حتى تألف له من ذلك باقة: كل زهرة من زهراتها حسن جميل.[xiii] فالتعريب يُغْنِي اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ضلال المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية. والمعرّب كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا. والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه أي لغة مادام العلم مشاعا بين الأمم... والعلم في نمو وازدياد فلا بد أن تزداد معه المصطلحات والمسميات. فالتعريب إذن ضرورة لحياة العلم.... ولا خوف منه على كيان اللغة. فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها. وأن بضع مفردات غريبة عنها قد التجأت إليها، فأضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها.

2- المُعَرَّبْ في القرآن الكريم:

احتلت قضية المعرب والدخيل والمولد في الدراسات اللغوية العربية جزءا كبيرا من اهتمام العلماء والباحثين قديما وحديثا، وهي تمثل في الدراسات القرآنية بالذات مسألة بالغة الأهمية دار حولها الجدل، ما بين رافض رفضا تاما لورود لفظ غير عربي في القرآن الكريم وقابل لورود المعرب ذي الأصل غير العربي ولكنه عرّب حتى صار جزءا من لغة العرب بحكم اتصال اللغات وتطورها ونموها المستند بعضه إلى بعض.[xiv]

فقد استخدم القرآن ألفاظا تكلمت بها العرب وأدخلتها في لغتها وإن كانت في أصلها ليست من اللغة العربية، وقد صقلتها العرب بألسنتها وشذبتها وربما تكون قد غيرت بعض حروفها أو أسقطت بعضها، وإذا أدخلت العرب هذه الألفاظ استغنت بها غالبا عن أن تضع ألفاظا في معناها.[xv]

وقد تشعبت الآراء حول قضية "اللفظ المعرب" في القرآن الكريم، وأثارت جدلا بين العلماء بعد أن اتخذت اتجاهين:

- **الاتجاه الأول:**

ذهب بعض العلماء إلى أن القرآن كله نزل بلغة قريش وليس فيه شيء من لغة غيرهم من قبائل العرب – واحتجوا لذلك في البخاري عن عثمان أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم و"زيد بن ثابت" في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش- فإنما نزل بلسانهم – ففعلوا.[xvi]

وأصحاب هذا الاتجاه ينكرون وجود المعرب أو الأعجمي في القرآن الكريم. ومن أشد المتحمسين له الإمام الشافعي (ت 204هـ) وأبو عبيدة (ت210 هـ)، والطبري (ت310هـ)، وأجمعوا على عدم وقوع الدخيل أو المعرب في القرآن الكريم – كما أورد السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن). وقد اتخذ هؤلاء الأئمة الثلاثة

موقفا متشددا في المسألة وقالوا إن ما يحسب كلمات أجنبية – أو (أعجمية) حسب تعبيرهم – في القرآن، حين توجد كلمة فيه لها مثيل في الفارسية مثلا، إنما هو من قبيل (توافق اللغات) (وهذه الفكرة كثيرا ما تتردد في معاجم العربية مثل (لسان العرب) لابن منظور.[xvii]

وتعددت حُجَجُهُم في ذلك معتمدة على ذكر الآيات التي تَنُصُّ على عروبة القرآن ونفي العُجمة عنه. كما اعتمدوا على أنَّ لغة العرب أوسع اللغات الإنسانية، وهي مقولة الشافعي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ...".[xviii]

وقد ناقش "الشافعي" القضية في كتابه "الرسالة" وبدأها بقوله: "من جماع علم كتاب الله، العلم بأن جميع كتاب الله إنما أنزل بلسان العرب". أما "أبو عبيدة" فقد ناقشها في كتابه "مجاز القرآن" الذي شدد فيه المعارضة، وأغلظ الكلام على القائلين بوجود المُعَرَّبْ في القرآن، فهو يقول: "أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول. ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول...".

أما "الطبري" فقد ناقش القضية في مطلع كتابه المشهور في التفسير ورد بعنف على من أثبت وجود المُعَرَّبْ في القرآن بقوله: " غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة مقر بكتاب الله، ممن قد قرأ القرآن، وعرف حدود الله – أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه نبطي لا عربي، وبعضه رومي لا عربي، وبعثه حبشي لا عربي، بعدما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآنا عربيا".[xix]

كما عللوا نفيهم لوقوع الأعجمي في القرآن الكريم ذهابا إلى أن وقوعه فيه ينفي كونه عربيا وقد قال تعالى إنه عربي، لكن قول هذا البعض أصبح مغمورا بأقوال جِلَّة العلماء وكبار الباحثين، وقد استدلوا على الوقوع بأدلة كثيرة منها ما أخرجه "ابن جرير" بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال "في القرآن من كل لسان".

وقال آخر لما حوى القرآن علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بد أن يقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيء فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب. ويشبه هذا القول في القرآن ما نقلناه آنفا عن كمال بك كاتب الترك من قوله في لغته التركية الحديثة إنهم اختاروا لها من كل لغة أعذب كلماتها وخيرة ألفاظها.[xx]

وقد ظلت المسألة تشغل أذهان الباحثين المحدثين في الدراسات القرآنية، وهم أيضا انقسموا إلى فريقين، يمثل الفريق الأول الأستاذ "أحمد محمود شاكر" الذي يقول في مقدمة نشرته لكتاب (المعرب) للجواليقي: (فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعله من بعض ما فُقِدَ أصله وبقي الحرف وحده ثم تزيد بعض العلماء المتأخرين وتكثروا في ادعاء العجمة لألفاظ من حروف القرآن).[xxi]

ولعل الشيخ "عبد الغني بن اسماعيل النابلسي" (1143هـ) أول من أشار إلى لغات العرب القديمة، وأنّ ما جاء في القرآن الكريم من ألفاظ وَقَعَ في وهمِ القدماء والمحدثين أنها أعجميّة، إنما هي لغات عروبية قديمة. وهو بهذا يؤيد ما ذهب إليه "الرازي" من تمام العربية في حروفها وألفاظها.

قال النابلسي: "فإذا كان فيه (القرآن) كلمات لا يعرفونها في اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة قريش، لا نقول إنها كانت عجمية فعربوها ونقلوها من العجمية إلى العربية، وإن في القرآن كلمات معرّبة من لغة العجم. هذا مما لا ينبغي لنا أن نقوله في حقّ القرآن العظيم. بل نقول: هذه الكلمات التي في القرآن العظيم ليست منقولة من لسان العجم، وإنما أصلها في لغة العرب العَرْباء اللغة القديمة، ثم تكلمت بها العجم، فغيروها بسبب لسانهم الأعجمي. ثُمَّ لما نزلت بالوحي على نبينا مُحَمَّد (ﷺ) النبي العربي القرشيّ تكلمت بها العرب المستعربة في بلاد الحجاز. وقد وجد العلماء في لغة العرب من لغة الفرس ولغة الروم ولغة الحبشة ولغة النَّبط من يتكلم بها محرفة متغيرة لعدم إمكانهم النطق بها فصيحة كما هي لغة العرب العرباء في قديم الزمان، قالوا: غيّرتها العرب وعرّبوها. وإنما التَّغيُّر فيها من العجم لا من العرب خصوصاً. وحجته أنَّ اللغة العربية سابقة متقدمة على جميع اللغات، فكيف يكون فيها كلمات معربة من لغات العَجَم...؟. والذين قالوا بالتوافق بين اللغات من القدماء لم يكن عندهم حجّة أو سند لغوي علمي فيما ذهبوا إليه.[xxii]

وخلاصة أدلة هذا الرأي:

1- أن الله جل ثناؤه نفى عن كتابه صفة العجمة، ودلت آيات عديدة على عروبة لغة القرآن وألفاظه. فإن قال قائل: ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره؟ فالحجة فيه كتاب الله. قال الله: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه).

أن الاعتراف بوقوع اللفظ الأعجمي في القرآن يعطي المشركين الذين تحداهم القرآن أن يحاكوه العذر بأن كلماته أعجمية لا يعرفونها، فكيف يستطيعون إذن محاكاته؟ فالله تعالى جعل القرآن "معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدى العرب العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته. فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة.[xxiii]

- أنَّه إن كان هناك تشابه بين بعض ألفاظ القرآن ولغات أجنبية، فهذا لا يعني أن هذه الألفاظ مأخوذة من تلك اللغات. أما ما ورد عن بعض الصحابة من مثل قولهم : "الكِفلان" :ضِعفان من الأجر بلسان الحبشة، و "أوّبي" سب"حي بلسان الحبشة، وقولهم: "في القرآن من كل لسان" فيحمل على اتفاق اللفظين في اللغتين بمعنى واحد.

وقد تبنى "الطبري" وجهة النظر هذه، ودافع عنها بشدة في مدخل تفسيره، فقال: "إن الذي قالوه من ذلك غير خارج عن معنى ما قلنا – من أجل أنهم لم يقولوا: هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاما، ولا كان ذاك

لها منطقا قبل نزول القرآن... فيكون ذلك قولا لقولنا خلافا (أي: مخالفا) وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا... ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟". [xxiv]

وقد استند الرافضون إلى آيات الكتاب العزيز التالية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُون﴾. [xxv]

وقوله تعالى: ﴿ **حم** * **والكتَّاب المُبِيْن** * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًا لَعَلَكُم تَعْقِلُون﴾. [xxvi]

وقوله عز وجل: ﴿ حم* تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحْمَان الرَّحِيْم* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْءَانًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾. [xxvii]

وقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ لَعَلَهُمْ يَتقُوْن﴾. [xxviii]

وقوله عز وجل: ﴿وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًا لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ومَا حَوْلَهَا وتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيْه، فَرِيْقٌ فِيْ الجَنَة وفَرِيْقٌ فِيْ السَّعِيْر﴾. [xxix]

وقوله عز وجل: ﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًا وصَرَّفْنَا فِيْه مِنَ الوَعِيد لَعَلَهُم يَتَقُوْنَ أَوْ يُحْدِثَ لَهُمْ ذِكْرَا﴾. [xxx]

وقوله عز وجل: ﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًا ولَئِنْ اتبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾. [xxxi]

وقوله عز وجل: ﴿وهَذَا كِتَابٌ مُصَدِقٌ لِسَانًا عَرَبِيًا لِيُنْذِرَ الذِيْنَ ظَلَمُوا﴾. [xxxii]

وقوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِ العالَمِيْن * نَزَلَ بِه الرُوحُ الأَمِينُ * على قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ المُنْذَرِيْن* بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِيْن* وإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَلِين* أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسرائيل* ولو نَزَّلْناه على بَعْضِ الأَعْجَمِيْن* فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كَانُوا بِه مُؤْمِنِيْن﴾ [xxxiii].

وقوله تعالى: ﴿قَلْ نَزَّلَه روحُ القُدُسِ من رِبِّكَ بالحَق لِيُثَبِّتَ الذِينَ آمَنُوا وهُدى وبُشْرَى للمُسْلِمين* ولقد نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُه بَشَرٌ لِسَان الذي يَلْحِدُون إليه أَعْجَمِيٌ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌ مُبِيْن﴾ [xxxiv].

وقوله تعالى: ﴿ولَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَعْجَمِيٌ وعَرَبِيٌ قُلْ هُوَ لِلذِيْنَ آمَنُوا هدًى وشِفاءٌ، والذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْن فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وهُوَ عَلَيْهِم عَمًى أولئك يُنَادُوْنَ من مكانٍ بَعِيْدٍ ﴾. [xxxv]

ويبدو أن الاختلاف نشأ أصلا عن فهم كلمة (عربي) التي يوصف بها القرآن الكريم في مقابل كلمة (أعجمي)، فقد فهمت (عربي) باعتبارها نسبة إلى أمة العرب ولغتهم، بتحديد قومي ولغوي معين، وما عداه فهو (أعجمي). [xxxvi]

وزعم "الزمخشري" في قوله تعالى: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِيْ السَمَاوَاتِ والأَرْض الغَيْبَ إلا الله) أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم – وقال بعض العلماء إن القرآن كله نزل بلغة قريش غير أن قريشا دخل في لغتهم شيء من لغات غيرهم من قبائل العرب مما اختاروه منها صار ذلك من لغتهم.[xxxvii]

وللدكتور "النهامي" رأي غريب في معرب القرآن لم يقله أحد من القدماء ولا من المحدثين، إذ يرى أنَّ وقوع المعرّب في القرآن "دليل قاطع على أن القرآن وحي بلفظه ومعناه، وليس دليلا على أنّ اللفظة عربية أصيلة. فاللفظة المستعملة في القرآن يجب ألا تعتبر عربية إلا إذا قامت الحجة على أنها استعملت في الشعر وفي النثر وبمعانيها المتداولة المعروفة في الأزمنة التي سبقت نزول كتاب الله الكريم".[xxxviii]

- **الاتجاه الثاني:**

على عكس الاتجاه الأول فقد رأت طائفة من العلماء في القرآن الكريم ألفاظا حسبتها غير عربية، وقد أفردت كتب كثيرة خاصة بما سمي عندهم (لغات القرآن) ذكر "ابن النديم" في كتابه (الفهرست) عددا منها مثل كتاب (لغات القرآن) "للفراء" (ت 206هـ) وكتاب (لغات القرآن) "للأصمعي" (ت 216هـ).[xxxix]

واعتمد من قال بهذا القول إلى ما نقل عن "ابن عباس" و"مجاهد" و"سعيد بن جبير" و"عكرمة" من نسبة بعض ألفاظ القرآن إلى غير العربية من اللغات، سئل "ابن عباس" عن قوله تعالى: (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو بالعربية (الأسد) وبالفارسية (شار) وبالنبطية (أريا) وبالحبشية (قسورة). بل صرح بعضهم "كأبي ميسرة" و"سعيد بن جبير"، بأن في القرآن من كل لسان، واعتمد من أنكر وقوعها على تأويل قوله تعالى: (إنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُوْن ﴾ وقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِيْنٍ﴾.[xl]

وذهبوا إلى أن القرآن قد نزل فيه شيء بلغة غير قريش من لغات بعض قبائل العرب – وأوّلوا ما ذكر– قال "الحافظ ابن عبد البر" في التمهيد قول من قال نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي في الأغلب لأن لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة ونحوها وقريش لا تهمز– وقال الشيخ "جمال الدين ابن مالك": أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في {من يُشَاقِّ الله} وفي {من يرتد منكم عن دينه} – فإن إدغام المجزوم لغة تميم– ولهذا قلّ–. والفك لغة الحجاز – ولهذا كثر– نحو: {وليملل يحببكم الله– يمددكم – واشدد به أزري – ومن بطل عليه غضبي–}.[xli]

وقد أثبت أصحاب هذا الاتجاه وجود المعرب في القرآن الكريم، وأشهر من نادوا بذلك: "ابن عباس"، وبعض الصحابة والتابعين وبعض اللغويين مثل "أبي عبيد" (ت224 هـ) و"الجواليقي" (ت 540 هـ) و"السيوطي" (ت 911 هـ) و"الشهاب الخفاجي" (ت 1069 هـ). و"للسيوطي" كتابان في الموضوع سمى أولهما: "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"، رتب فيه الكلمات القرآنية المعربة على حروف العجم. وسمى ثانيهما: "المتوكلي"،

ورتب فيه الكلمات المعربة حسب اللغات التي أخذت منها. كما لخص كتابه "المهذب" في مؤلفه المشهور "الإتقان في علوم القرآن".[xlii]

وقد نظر "ابن عباس" إلى الكلمات ذات الأصل الأجنبي نظرة غير متحيزة، وقد اعترف بوجودها في القرآن الكريم، على حين أن بعض فقهاء اللغة كما سبق وذكرنا جاءوا بعده يميلون – بإيحاء من "أبي عبيدة" – إلى إخفاء هذه الحقيقة بمغالطات ومماحكات جدلية.[xliii]

وخلاصة أدلة الفريق المؤيد:

1- أن الألفاظ اليسيرة في القرآن الكريم بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن فارسيتها بوجود لفظة عربية فيها.

2- أن هذه الألفاظ أعجمية في أصولها البعيدة، ولكن العرب أدخلوا عليها تغييرات فصارت على غرار كلامهم. وقد تسربت هذه الكلمات إلى لغة العرب عن طريق مخالطة العرب" لسائر الألسن بتجارات، وبرحلتي قريش، وبسفر مسافرين كسفر "أبي عمرو" إلى الشام... و"عمرو بن العاص"، و"عمارة بن الولي"د إلى أرض الحبشة... و"الأعشى" إلى الحيرة... فعلَّقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان. وعلى هذا الحد نزل بها القرآن... فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكنها استعملت من قبل العرب، وعُرِّبَت فهي عربية بهذا الوجه".

وقريب من هذا ما استدل به "أبو عبيد"، وإن حاول أن يظهر بمظهر الموفِّق بين الفريقين. يقول "أبو عبيد": "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فهو صادق".[xliv]

ومن الباحثين المحدثين الذين مثلوا هذا الفريق الشيخ "حمزة فتح الله" الذي جمع الكلمات الواردة في القرآن الكريم ويقال إنها أعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف العمومية المصرية سنة 1902. والدكتور "حلمي خليل" الذي قام بتقسيم الألفاظ (المعربة) التي وقعت في القرآن الكريم في كتابه (المولد في العربية) وهذا حسب رأي السيوطي في مؤلفه (المهذب) إلى العائلات اللغوية الحديثة – مستفيدا من د. "حسن ظاظا" (اللسان والإنسان) ود. عبد الصبور شاهين (القراءات القرآنية).[xlv]

ومن هذه الكلمات المعرَّبة التي استخدمها القرآن وهي في جملتها طائفة قليلة:

الكلمة المعرَّبة	ورودها في القرآن الكريم	لغتها الأصلية
(ابريق)	في قوله تعالى: ﴿ يَطُوْفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُوْن (17) بِأَكْوَابٍ وأَبَارِيْقَ وكَأْسٍ مِنْ مَعِيْن(18) ﴾ (الواقعة 17- 18)	الفارسية
(استبرق) (زنجبيلا) و(سندس) و(سَلْسَبِيْلَ)	في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ويُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيْلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيْلًا (18) ويَطُوْفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُون إذا رَأَيْتَهُم حَسِبْتَهُم لُؤْلُؤًا مَنْثُوْرًا (19) وإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيْمًا ومُلْكًا كَبِيْرًا (20) عَلَيْهِم ثِيَابَ سُنْدُسٍ خُضْرٍ واسْتَبْرَق وحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَةٍ وسَاقَهُمْ رَبُّهُم شَرَابًا طَهُوْرًا(21) ﴾ (الإنسان 17-21).	الفارسية
(كَافُوْرَ)	في قوله تعالى: ﴿ إنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُوْنَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوْرًا ﴾ (الإنسان 5).	الفارسية
(الفِرْدَوْس)	في قوله سبحانه: ﴿ إنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ **الفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾ (الكهف 17)	الفارسية
(التنور)	في قوله عزَّ وجَّل: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيْهَا مِنْ كُل زَوْجَيْن اثْنَيْن وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْل وَمَنْ آمَنَ ومَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيْل ﴾ (هود 40)	من الفارسية وهناك من يقول من الحبشية

[i] – إبراهيم الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 2002، ص34.

[ii] – عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، دار الفرقان، عمان، 1986، ص226.

[iii] – إبراهيم الحاج يوسف، المرجع السابق، ص34.

[iv] – ينظر: سشتكيفتش، العربية الفصحى الحديثة، بحوث في تطور الألفاظ والأساليب،تر: محمد حسن عبد العزيز،دار النصر للطباعة،القاهرة، 1985، ص133.

[v] – عبد القادر بن مصطفى المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة 1908، ص26.

[vi] – طاهر بن العلامة صالح الجزائري، كتاب التقريب لأصول التعريب، طبع في مصر بالمطبعة السلفية، المكتبة والمجلة السلفية، د ط، د ت، ص3.

[vii] – عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، دار الفرقان، عمان، 1986، ص226.

[viii] – إبراهيم الحاج يوسف، المرجع السابق، ص35.

[ix] – المرجع نفسه ص47.

[x] – نازلي معوض احمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (3)، ط1، بيروت، 1986، ص41.

[xi] – إبراهيم الحاج يوسف، المرجع السابق، ص36.

[xii] – ينظر: أحمد أحمد بدوى، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص78.

[xiii] – ينظر: عبد القادر بن مصطفى المغربي، المرجع السابق، ص42.

[xiv] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم، دار الشرق الأوسط، ط1، بيروت لبنان، 1997، ص7.

[xv] – أحمد أحمد بدوى، المرجع السابق، ص76.

[xvi] – طاهر بن العلامة صالح الجزائري، المرجع السابق، ص106.

[xvii] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟، المرجع السابق، ص8.

[xviii] – جاسر خليل أبو صفية، مُعَرَّبُ القرآن عربي أصيل، دار أجا، الرياض ردمك، ط1، 2000. ص28.

[xix] – أحمد مختار عمر، (لغة القرآن – دراسة توثيقية فنية–)، مكتبة الشريعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلم، ط2، الكويت، 1997، ص114.

[xx] – عبد القادر بن مصطفى المغربي، المرجع السابق، ص51.

[xxi] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟، المرجع السابق، ص9.

[xxii] – جاسر خليل أبو صفية، المرجع السابق، ص28.

[xxiii] – أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص114.

[xxiv] – المرجع نفسه، ص115.

[xxv] – سورة يوسف الآية:2.

[xxvi] – سورة الزخرف، الآية: 3.

[xxvii] – سورة فصلت، الآيات: 1–3.

[xxviii] – سورة الزمر، الآية:28.

[xxix] – سورة الشورى، الآية: 7.

[xxx] – سورة طه، الآية: 113.

[xxxi] – سورة الرعد الآية: 37.

[xxxii] – سورة الأحقاف، الآية: 12.

[xxxiii] – سورة الشعراء، الآيات: (192– 199).

[xxxiv] – سورة النحل، الآيتان (102– 103).

[xxxv] – سورة فصلت، الآية: 44.

[xxxvi] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟، المرجع السابق، ص7.

[xxxvii] – طاهر بن العلامة صالح الجزائري، المرجع السابق، ص106.

[xxxviii] – جاسر خليل أبو صفية، المرجع السابق، ص29.

[xxxix] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟، المرجع السابق، ص8.

[xl] – سشتكيفتش، تر: محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص140.

[xli] – طاهر بن العلامة صالح الجزائري، المرجع السابق، ص106.

[xlii] – أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص116.

[xliii] – ينظر: سشتكيفتش، تر: محمد حسن عبد العزيز، المرجع السابق، ص131.

[xliv] – أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص118.

[xlv] – علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟، المرجع السابق، ص9.